

حياة الرسول محمد (ﷺ) منذ الولادة وحتى البعثة

١- نسب الرسول محمد (ﷺ):

ينسب الرسول محمد (ﷺ) الى احد القبائل العربية وهي قبيلة قريش، واسمه متصل بحلقة إلى ان يصل في النسب الى عدنان، فهو: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهذا النسب متفق عليه من قبل النسابة العرب، الى ان يصل في النسب لنبينا اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، وكل من ولد فهر فهو يعود بالنسب الى قريش، اي الى القبائل العدنانية.

×

٢- ولادة الرسول محمد (ﷺ):

✘ اختلفت اغلب المصادر في تحديد التاريخ لولادته، وكذلك في تاريخ وفاته من سنة الى خمس سنوات، ولكن هناك احداث تاريخية متفق عليها بأجماع اغلب المؤرخين، فذكرت الروايات التاريخية ان وفاته (ﷺ) قيل بل بلغ من العمر (٦٣ سنة)، والمتفق عليه انه توفي (ﷺ) سنة (٥١١) والموافق ٦٣٢م، وبما ان نزول الوحي عليه (ﷺ) وعمره (٤٠ سنة) وكانت دعوته في مكة في الدور السري والعلني (١٢ سنة) وبعد هجرته الى المدينة المنورة (١٠ سنوات).

✘ كانت هذه حياة الرسول (ﷺ) والتي اشارت لها المصادر التاريخية وانه ولد بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين من التاسع لربيع الاول ولأول من عام الفيل ولأربعين خلت من حكم كسرى انوشروان الذي يوافق ذلك العشرين او الثاني وعشرين من شهر ابريل سنة ٥٧١م، ولما ولدته امه ارسلته الى جده عبد المطلب تبشره بحفيده فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة ودعا الله وشكره واختار له اسم محمد ولم يكن هذا الاسم معروفا عند العرب وختنه في اليوم السابع كما كان العرب يفعلون.

٣- حياة الرسول محمد (ﷺ) مع مرضعته:

- ✘ هناك روايات تاريخية عديدة تثبت بان الرسول محمد (ﷺ) بعد ولادته مكث مع امه فترة من الزمن وبعدها تولت امر رضاعته مولاة لأبي لهب تدعى(ثوبيه) التي ارضعته ومعه ابو سلمه عبدا لله بن عبد الاسد المخزومي بلبن ابنها مسرور وأرضعت معه عمه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) فكانوا اخوة رسول الله (ﷺ) بالرضاعة.
- ✘ كانت العرب قديماً يلتمسوا المراضع لأولادهم ابتعاداً لهم عن امراض الحواضر ولتقوى أجسامهم ، وتشتد اعصابهم ، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم فالتمس عبد المطلب لرسول الله (ﷺ) الرضعاء واسترضعت له امرأة من بني سعد بن بكر وهي حليلة السعدية بنت ابو ذؤيب، وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشه ، وله من رضاعتها عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذامة او جذامه بنت الحارث وهي(الشيماء- التي غلب عليها لقبها على اسمها) وكانت تحضن رسول الله (ﷺ) وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأرضعت معهم الحمزة بن عبد المطلب عم الرسول (ﷺ)، فكان اخوه لوجهين من الرضاعة، وكان لرضاعته عدة فوائد منها: ينشئ في البادية نشأة صحيحة وليتعلم اللغة العربية الفصيحة في بيئة صحيحة تختلف عن بيئة مكة الصاخبة والتي تعددت فيها اللهجات العربية بسبب قدوم لقبائل العربية الى اسواقها في موسم الحج، بقي(ﷺ) في البادية عند مرضعته حتى اصبح من العمر(٥ سنوات)، وبعدها اعيد الى دار جده عبد المطلب، وبعد مرور سنة توفيت امه فأصبح يتيم الابوين وهو في السنة(٦ من عمره)، وعندها كفله جده.

٤- وفاة جد الرسول محمد (ﷺ) عبد المطلب وكفالته من عمه ابو طالب:

- ✘ تأثر الرسول (ﷺ) بوفاة جده كثيراً بعد ان كان يكن له الرعاية والحنان الذي فقده بوفاة والديه وهو في سن (٨ سنوات وشهرين وعشرة ايام)، فحزن حزناً شديداً بهذه الوفاة بعد ان كان سنده بهذه الحياة، فكفله عمه ابو طالب من بعد جده، واحبه كثيراً بعد ان نقله الى داره ليعيش مع افراد عائلته، فيقربه اليه عند الطعام ويميزه عن باقي اولاده في الحنان، وكان اسم عمه عبد مناف وهو ليس اكبر اخوته وكان كثير العيال وقليل المال بالنسبة الى اخوته الحارث والعباس، وكان عمه يعمل بالتجارة حال اهل مكة لذا صحب الرسول (ﷺ) معه الى تجارة الى الشام في احدى القوافل التجارية لاهل مكة مما زاد من تعلق الرسول (ﷺ) بعمه.
- ✘ تشير المصادر ان الرسول محمد (ﷺ) عندما كان صغيراً قد امتهن حرفة رعاية الغنم وهو في (٥ من عمره) عندما كان عند مرضعته حليمة السعدية، ورعاها ايضاً عند عودته الى مكة وهو بكفالة جده حتى ذكر انه قال لاصحابه يوماً لقد رعى الغنم لاهل مكة بالقراريط وعلى ما يبدو انه مارس هذه الحرفة عندما انتقل الى دار عمه ابو طالب لمساعدته اقتصادياً.

٥- حياته العامة في مكة:

✘ **أ- حرب الفجار:** ذكرت الروايات التاريخية ان الرسول محمد (ﷺ) قد شارك في حرب الفجار عندما كان عمره (١٥) سنة وكانت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلام، وكان قائد قريش وكنانة حرب بن امية لمكانته وشرفاً وسناً ، وبذكر ان الظفر في اول النهار لقيس على كنانة، حتى اذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمت الحرم والأشهرالحرم فيها، وقد حضر هذه الحرب الرسول محمد (ﷺ) مع ابناء عمومته حيث كان ينبل النبال اي يجهز لهم النيل للرمي، قيل كان عمره (٢٠) سنة وقبل (١٤) سنة وقبل (١٥) سنة لكن كان لم يشارك بصورة فعلية بل فقط للمساعدة بقوله: قد حضرت مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما احب اني لم اكن فعلت .

✘ **ب- حلف الفضول :** وعلى اثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهر الحرام تداعت قبائل قريش إلى هذا الحلف منهم: بنو هاشم، وبنو عبدالمطلب، واسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة ، وأجتمعوا في دار عيد الله بن جذعان التيمي لسنة وشرفه، فتعاهدوا وتعاقدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها او غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه لنصرته، و كانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته. ودعوا الرسول محمد(ﷺ) لحضور هذا الحلف وكان عمره (٢٠ عاماً) وروي انه قال : لقد شهدت في دار عبدا لله بن جذعان حلفاً ما احب ، لي به حمر النعم و لو ادعى به في الاسلام لأجبت .

٦- شبابه وعمله:

- × من المعلوم ان الرسول (كان يعيش في بيت عمه ابو طالب وهو حسب ما ذكر انه كثير العيال وليس له من المال، وان النبي كان منذ صغره قد امتهن حرفة رعي الغنم مقابل قراريط كأجور بسيطة في ذلك الزمان، وعندما بلغ من العمر (٢٥عاما) ترك هذه الحرفة البسيطة لأنه بلغ من العمر الشباب فترك حرفة الرعي وعمل بحرفة التجارة كعمل يناسب عمره لأنها مهنة ابائه وأجداده وتدر عليه من الربح الكثير،
- × ففي هذا العمر ارسلت إليه خديجة بنت خويلد وهي امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم بشيء تجعله لهم، ولما بلغها عنه من صدق في حديثه عظم امانته وكرم اخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه ان يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً على أن تعطيه افضل او ضعف ما كانت تعطي غيره من التجار، فبعثت إليه مع غلامها اسمه (ميسرة) فقبله رسول الله (ﷺ) منها، وخرج في مالها ذلك ومعها غلامها (ميسرة) حتى قدم الشام .
- × وهذه كلها دلائل على ان الرسول محمد الرسول محمد (ﷺ) كان يمارس مهنة التجارة في سوق مكة منذ فترة طويلة وأنه أكتسب خبرة وسمعة جيدة بين الناس مما جعله لا يوافق على أجوار مماثله لإقرانه ألا مضاعفته وعلى ما يبدو ان الذي دفع الرسول (ﷺ) للموافقة بالذهاب في تجارة خديجة أنه لم يكن لديه المال الكافي للذهاب في تجارة ألى الشام .

٧- زواجه من خديجة رضي الله عنها:

- ✘ هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فهي من صميم قريش نسباً، أبوها زعيم عشيرته و قائدهم . له من البنات ثلاثة : خديجة أم المؤمنين وهالة أم أبي العاص بن الربيع صهر النبي (ﷺ)، و ربيعة ، وثلاث بنين هم : العوام بن خويلد وهو والد الزبير بن العوام ، وحزام بن خويلد والد حكيم بن حزام و نوفل بن خويلد، تزوجت خديجة قبل الاسلام وقبل الرسول (ﷺ) برجلين وكان الاول هو عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له ابنة تسمى أم محمد تزوجها صيفي بن ابي رفاعة قتل في معركة بدر كافراً، اما زوجها الثاني فكان أبا هند بن زرارة بن النباش التميمي لها منه ولد اسمه هند بقى مع امه بعد زواجها من النبي محمد (ﷺ) وعاش في كنفه و كان يفتخر بأنه ربيبة رسول الله (ﷺ) وأمه خديجة وأخته فاطمة وأخيه القاسم قيل شهد بدر واحد ومات بالبصرة .
- ✘ لما رجع الرسول(ﷺ) الى مكة ورأت خديجة في مالها من الامانة والبركة ما لم ترى قبل هذا فاخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه من الامانة عذبه وشمائله الكريمة وفكر راجح ،
- ✘ كانوا يعرضون عليها سادة قريش الزواج فتأبى فتحدثت في نفسها الى صديقتها نفيسة بنت منبه فهذه ذهبت الى الرسول(ﷺ) تفاتحه ان يتزوج خديجة ، فرضى فكلم اعمامه فذهبوا الى عمها فخطوبها اليه وحضر العقد بنو هاشم ومضر بعد رجوعه من الشام بشهرين تزوجها ، وأصدقها عشرين بكرة، وكان سنها إذ ذلك اربعين لأنه انجبت سبعة اولاد، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة او اقل ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وكل اولاده منها سوى ابراهيم فولدت له القاسم وبه كان يكنى، ثم زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة وعبدالله وكان عبدالله يلقب بالطاهر والطيب وكلهم ماتوا في حياته سوى فاطمة رضي الله عنها بعده (ب ٦) اشهر ماتت.

٨- بناء الكعبة وقضية التحكيم:

- × وعندما بلغ الرسول محمد (ﷺ) من عمر (٣٥ سنة) قامت قريش ببناء الكعبة من جديد ، لأنها كانت رضماً فوق القمامة على ارتفاع (٩ اذرع) منذ زمن نبينا اسماعيل (عليه السلام) ولم يكن له سقف سابقاً، فسرق نفر من اللصوص كنزها الذي كان في جوفها بالإضافة الى أنها تعرضت الى التلف فقد اوهت بنيانها وصدعت جدرانها، وقبل بعثة النبي (ﷺ) (ب ٥ سنوات) جرف مكة سيل عرم، حتى انحدر الماء الى البيت الحرام فأوشكت الكعبة الى الانهيار، مما اضطر اهل قريش الى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها بين العرب،
- × واتفق سادة قريش على ان لا يدخل في مال بنائها الا طيباً حلالاً، (فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مال مظلمة احد من الناس) وكانوا يهابون هدمها، فأبتدأ الهدم الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس حتى وصلوا الى قواعد ابراهيم (عليه السلام) وعندما ارادوا الاخذ بالبناء جزءوا الكعبة وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها ، فجمعت القبائل الاحجار واخذوا بنائها وتولى البناء رجل رومي اسمه باقوم، ولما وصل البناء الى موضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه ، واستمر النزاع اربع ليالٍ او خمسا واشتد وكاد ان يتحول الى حرب ضروس في ارض حرم، الا ان ابا امية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم ان يحكموا فيما شجر بينهم اول داخل عليهم من باب المسجد الحرام ، فارتضوه وشاء الله ان يكون الداخل هو رسول الله (ﷺ) الامين، فلما راوه حتفوا : هذا الامين رضينا، فلما انتهى اليهم واخبروه خبرهم، طلب رداءً فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين ان يمسكوه جميعاً باطراف الرداء وأمرهم ان يرفعوه حتى اذا اوصلوه الى موضعه رفعه بيده الشريفة فوضعه بمكانه ، وكان هذا الحل قد ارضى جميع الاطراف المتنازعة.

٩- احوال الرسول محمد (ﷺ) قبل البعثة:

- × ان الرسول محمد (ﷺ) جمع من الصفات والميزات ما خيرت على الناس أجمعين ، فكان طرازاً رفيعاً في الفكر الصائب والنظر السديد ، له من الفطنة الحسنة وأصالة الفكر وسداد الرأي في الوسيلة والهدف ، وكان يستعين بصمته الطويل على التأمل ، وإدمان الفكر واستكانة الحق وله من الفطرة والعقل الصافي مطلع على صحائف الحياة وشؤون الناس واحوال الجماعات ، فكان يترك ما يعرض عليه من الخرافة ،
- × ويعايش الناس على بصيرة أمرهم ، فما وجد شئ فيه حسن شارك فيه فلا يشرب الخمر ولا ياكل مما ذبح على النصب ولا يحضر للأوثان عيد ، نافراً للمعبودات الباطلة ويبغضها، ولا يحلف باللات والعزى، ولا شك ان القدر حفظه وحاطه قبل ان يحدث له شئ يكرهه الله ﷻ فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا او اتباع بعض التقاليد الغير محمودة تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينها وبين النبي (ﷺ) ،
- × فروي انه يوماً كان يرعى الغنم في احدى ضواحي مكة مع صبيان معه وعندها سمع اصوات طبل وزمر فطلب من رفيقه الصبي ان يرعى غنمه ليذهب ويسمر حاله حال الشباب لحضور عرس في ضواحي مكة، شاءت الاقدار بعصمته ان ينام حتى بزوغ الشمس لليوم التالي واعادها مرة ثانية ولكن الله عصمه لكي لا يسمع ما يبغض الله ﷻ.

♦ ١- نزول الوحي على الرسول محمد (ﷺ):

- × لما قارب الرسول محمد (ﷺ) الأربعين عاماً من عمره، كان يتأمل بالذهاب الى غار حراء بالخلية فيه، فكان يأخذ السويق والماء معه الى هذا الغار في جبل النور على بعد ميلين من مكة، طول الغار اربعة اذرع وعرضه ذراع وثلاثة ارباع الذراع، ومعه اهله فيقيم طيلة شهر رمضان ليقضي وقته بالتعبد والتفكير ، فكان يحتاج الى هذه العزلة لخلوة الروح وهي بامر رباني ليحمل هذه الامانة ، استمرت عزلته (٣ سنوات). ولما شاء الله (ﷻ)، نزل عليه وحي من السماء وهو جبريل (عليه السلام)، وان كلمة وحي تعني في اللغة العربية: (الإشارة ، والمكتوب ، وبالرسالة ، والإلهام، والكلام الخفي) اي تأتي بعدة معاني.
- × اما معنى كلمة وحي في الفقه: فِيهِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنزَّلِ عَلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾،
- × وان فكرة الوحي لم تكن غريبة على اذهان الناس او العرب قبل الاسلام لان الاديان السماوية المنزلة متمثلة باليهودية والمسيحية على ايمان وعلم بالوحي الذي ينقل كلام الله (ﷻ) الى الانبياء ، فكان اهل مكة لم يستغربوا عندما سمعوا بخبر نزول الوحي على الرسول محمد (ﷺ)،
- × فكانت الرؤيا جاءت مثل فلق الصبح حتى مضت على ذلك ستة اشهر ، فلما كان في السنة الثالثة من عزلته بحراء شاء الله (ﷻ) ان يفيض من رحمته على الرسول محمد (ﷺ)، فآكرمه بالنبوة وانزل اليه جبريل (عليه السلام) بايات من القرآن وهو نائم ، بقوله (ﷻ): ﴿فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: وَمَا أَنَا بِقَارِءٍ، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾

شكرا لحسن أستماعكم
استاذ المادة: م. مالك مهدي حاييف